



## الحقيقة العقلية في المماثلة القرآنية

أ.م.د. مهند مرموص عبود  
كلية الآداب، الجامعة العراقية، العراق  
البريد الإلكتروني: [Muhannadabbod5@gmail.com](mailto:Muhannadabbod5@gmail.com)

### الملخص

إن القرآن الكريم خاطب الخلق بما رسخ في طباعهم وما فطرهم الله عليه من المفاهيم ، منها ما يمكن أن تتوصل إليه بالحواس ( المحسوسات ) ، ومنها ما يمكن أن تصل إليه بعقلك ( المعقولات ) ومنها ما هو معقول وينزل منزلة الحس ؛ لأنه راسخ في طباع البشر ( ما رسخ في الطباع )، وكل هذه التصورات مبنية على : إلحاق المعقولات بالمحسوسات ؛ لتقريب الصورة ، و صفة مشتركة تجمع الطرفين ، وطرفين للمماثلة نلحق أوله بأخره ؛ لان الثاني أعلى صفة من الأول . وهذا ما عليه جمع البلاغيين ولا خلاف في ذلك ، ومن حاول أن يزيد عليها أو ينقص منها أخذ العلماء وردوه . أما القرآن الكريم المعجز في نظمه ، المتفرد في نسقه تجاوز هذه الحدود وكسر مجمل القيود ، يوم شكل أجمل الصور مستغنيا عن هذه التصورات.

الكلمات المفتاحية: الحقيقة العقلية، المماثلة القرآنية، القرآن الكريم.



## The Rational Truth in the Qur'anic Analogy

Asst. Prof. Dr. Muhannad Marmous Abboud  
College of Arts, Al-Iraqia University, Iraq  
Email: [Muhannadabbod5@gmail.com](mailto:Muhannadabbod5@gmail.com)

### ABSTRACT

The Holy Quran addressed the creation with what is rooted in their natures and what Allah created them with of concepts, some of which can be reached by the senses (sensibles), some of which can be reached by your mind (rationalities), and some of which are rational and are considered to be the same as the senses because they are rooted in human natures (what is rooted in nature). All of these concepts are based on: Attaching rationalities to sensibles to bring the picture closer, and a common characteristic that unites the two sides, and two sides of similarity, we attach the first to the last because the second is of a higher characteristic than the first. This is what the rhetoricians have agreed upon and there is no disagreement about that, and whoever tried to add to it or subtract from it, the scholars took him and rejected him.

**Keywords:** rational truth, Quranic analogy, Holy Quran.



## المقدمة

أبدأ من قول المبرد ( والتشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد ) والموغل في الصنعة البلاغية يدرك أثر المقال في أصقاع تمظهره بين النصوص ؛ إذ تشكل المماثلة (1) ثلثي البيان ، بينما يشكل البيان ملمح البلاغة الأبرز ، ولك أن تتصور البيان في ثلثيه : حقيقة تدور حول التشبيه ، ومجاز مرده إلى المشابهة ( الاستعارة ) عندها لم يبق من البيان إلا صورة اللحم والدم .

ومن هذا التصور فإن القرآن الكريم خاطب الخلق بما رسخ في طباعهم وما فطرهم الله عليه من المفاهيم ، منها ما يمكن أن تتوصل إليه بالحواس (المحسوسات) ، ومنها ما يمكن أن تصل إليه بعقلك ( المعقولات ) ومنها ما هو معقول وينزل منزلة الحس ؛ لأنه راسخ في طباع البشر ( ما رسخ في الطباع ) ، وكل هذه التصورات مبنية على :

إلحاق المعقولات بالمحسوسات ؛ لتقريب الصورة ، و صفة مشتركة تجمع الطرفين ، وطرفين للمماثلة نلحق أوله بآخره ؛ لان الثاني أعلى صفة من الأول . وهذا ما عليه جمع البلاغيين ولا خلاف في ذلك ، ومن حاول أن يزيد عليها أو ينقص منها آخذ العلماء وردوه .

أما القرآن الكريم المعجز في نظمه ، المتفرد في نسقه تجاوز هذه الحدود وكسر مجمل القيود ، يوم شكل أجمل الصور مستغنيا عن هذه التصورات ؛

بتنوع الاحداثيات ، تارة يلحق المحسوس بالمعقول ، وأخرى تتشكل صورته من الحقائق العقلية البحتة ، وقد يستغني عن الأركان إلا من المشبه به وحده ، ولا شك أن هذا التشكيل يدعو للتأمل ؛ إذ لم تجر به العادة وأزيد على ذلك بقولي : قد نحذف المشبه به مع بقاءه على الحقيقة لا على المجاز ، ولا يمكن أن نجد من مآثور العرب ما يعين على ذلك ، وربما لا تجد صفة مشتركة من أجلها تلحق الأول بالثاني . كل هذه الغرائب ( حقائق عقلية في المماثلة القرآنية ) تثبت وجودها بشيء من التمثيل ، ثم نبسطة القول فيها بالتحليل .

أولاً : ما لم تجر به العادة

أ - ( أن يكون المشبه أعلى صفة من المشبه به )

من مسلمات التشبيه أن وجه الشبه في المشبه به يكون أعلى من المشبه وهذا تعليل لقولهم في التشبيه ( الحاق الأول في الثاني ليكتسب منه صفة أو صفات ) أي : إلحاق المشبه بالمشبه به ليكتسب من صفته الأعلى (

(1) المماثلة تعني التشبيه ينظر : جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي 215



وجه الشبه ) ولا خلاف في ذلك ؛ لتقتضي ماهية التشبيه ( أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو به أشهر (1) ومن حاول أن يحطم قيد اللاحق رد عليه ؛ لمخالفته منطق المماثلة مثل قول البحري : ( الطويل )  
على باب قنسرين والليل لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد  
فرب مداد فاقد اللون ، وحرى من ذلك سواد الليل (2) ، أحد لم يجروا بعد ذلك على حدود المماثلة وكأنها موقوفة  
على ( الجرجاني ) رحمه الله ؛ بيد أن هذه القواعد البشرية تتلاشى عند النظم المعجز في القرآن الكريم في قوله  
تعالى :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا  
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ  
نَارٌ نُوْرٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾  
النور: ٥٣

فقوله مثل نوره كمشكاة جاءت بما لم تجر به عادة التشبيه من الحاق المشبه بالمشبه به ؛ ليكتسب من  
صفته الأعلى ، فالمشبه (نور الله ) في هذه الصورة أعلى صفة من المشبه به ( مشكاة ) ، فهو من تشبيه  
الأعلى بالأدنى ، وهذا التشبيه من خصائص الإعجاز القرآني ، ولا أعرف من مأثور العرب ما يشبهه أو يدنو  
من صياغته . وإن يرى بعضهم أن الضمير في قوله ( نوره ) لا يعود على لفظ الجلالة في قوله ( الله نور  
السموات والأرض ) وفي عود الضمير غير رأي :

يقول الكزمايني: ( هُوَ الَّذِي يَرَى وَيُرَى بِهِ مَجَازٌ وَصِفَ اللَّهُ بِهِ لِأَنَّهُ يُرَى وَيَرَى بِسَبَبِهِ مَخْلُوقَاتِهِ لِأَنَّهُ خَلَقَهَا  
وَأَوْجَدَهَا .

( وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْقَوْلِ مَا الْمَزَادُ بِالنُّورِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ تَعَالَى . فَقِيلَ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ فِي قَوْلِهِ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ  
مُتَّبِعَاتٍ « I » وَقِيلَ: الْإِيمَانُ الْمَقْدُوفُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ . وَقِيلَ: النُّورُ هُنَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
وقيل: النُّورُ هُنَا الْمُؤْمِنُ . وَقَالَ كَعْبٌ وَابْنُ جُبَيْرٍ: الضَّمِيرُ فِي لِنُورِهِ عَائِدٌ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيْ  
مِثْلُ نُورِ مُحَمَّدٍ . وَقَالَ أَبِي: هُوَ عَائِدٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَفِي قِرَاءَتِهِ مِثْلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ . وَرَوَى أَيْضًا فِيهَا مِثْلُ نُورٍ مَنْ  
أَمَنَ بِهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ: يُعُودُ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ عَادَ فِيهَا الضَّمِيرُ عَلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ ، وَتَقَلَّتْ الْمَعْنَى  
الْمَقْصُودَ(1). ومع أن أبا حيان في بحره ذكر غالب الآراء ؛ لكنه يذهب إلى ما نذهب إليه من عود الضمير

(1) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني 224  
(2) ينظر : السابق 224



على لفظ الجلالة بقوله: ( وَالظَّاهِرُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي مَثَلِ نُورِهِ عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى )<sup>(2)</sup> وتبعهم ابن القيم في قوله (مثل نوره في قلب المسلم. وهذا هو النور الذي أودعه الله في قلب عبده من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره. وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به، وجعلهم يمشون به بين الناس. وأصله في قلوبهم، ثم تقوى مادته فتزايد حتى تظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم، وإن كان سائر الخلق له منكر فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور، وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة )<sup>(3)</sup> والذي دعاه إلى هذه القناعة أنه - رحمه الله تعالى - من أنصار الحقيقة وظاهر النص ، وخير من عقب على هذا التوجيه درويش بقوله (التشبيه البليغ في قوله تعالى «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» والمراد به المضمرة الأداة وقد سبق ذكره مع أقسام التشبيه وإنما سمي بليغاً لحذف واسطة الأداة ولو جازته بسبب هذا الحذف، وقد تكلم علماء البيان مطولاً في هذا التشبيه وحاولوا تجسيد الكيفية التي ساغ فيها هذا التشبيه لأن النور كما هو معلوم كيفية أو عرض يدرك بالبصر فلا يصح حمله على الذات المقدسة، وأحسن ما يقال فيه أن التشبيه جار على التقريب للذهن، أي: به تعالى وبقدرته أنارت أضواء السماء والأرض واستقامت أمورها لأن ظهور الموجودات حصل به كما حصل بالضوء جميع المبصرات )<sup>(4)</sup>

ويبسط القول في ذلك أبو السعود وهو يؤكد التشبيه الخارق لقوانين التشبيه بقيد قرآني وهو يفسر القرآن بالقران ( مَثَلِ نُورِهِ } أي نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المُستتيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالإنزال والتبيين وقد صرح بكونه نوراً أيضاً في قوله تعالى وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وزيد )<sup>(5)</sup> أما مذهب الزمخشري في مقابلة هذه الصورة الفريدة بصورة أخرى<sup>(6)</sup> من القرآن الكريم وهي كقوله تعالى: ( اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) ففيها نظر من وجوه عدة :

(1) البحر المحيط في التفسير، 8/ 43

(2) السابق، 8، 43

(3) التفسير القيم، ابن القيم 389

(4) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش 6/ 608

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود 6/ 175

(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري 3/ 240



1- أن الصورة الثانية فيها استعارتان متتاليتان وليس تشبيها، وهذا ثابت عند القدماء والمحدثين ؛ بينما حدث الصورة التي نحن بصددنا هو التشبيه ، وذلك مبرر للزمخشري - رحمه الله تعالى - ففي القرن الخامس لم يزل ثمة من يرى أن التشبيه والمشابهة حدث بلاغي واحد (1)

2- لا تشبه الصورة الأولى ( التشبيه ) بحال الصورة الثانية ( الاستعارتين ) ؛ إذ الصورة الثانية جرت على ما اعتاد عليه العرب من ان المشبه به أعلى صفة من المشبه ، بينما جاءت الصورة التشبيهية خلاف المعتاد وعليها مدار الحوار .

ومن الجدير بالذكر أن المماثلة القرآنية وقعت عقب مماثلة أخرى وهي ( الله نور السماوات والأرض ) ولا أراها مماثلة بل صفة ؛ لأن النور من صفات الله تعالى وقد نقل اسماعيل الخلوتي عن حواشي ابن الشيخ يقول: ( الفقير لا حاجة الى اعتبار التشبيه البليغ فان النور من الأسماء الحسنى وإطلاقه على الله حقيقي لا مجازي فهو بمعنى المنور ها هنا فانه تعالى نور الماهيات المعدومة بانوار الوجود) (2)

والذي أنتهي إليه في هذا الموضع أن المماثلة جاءت مرسله الأداة لإيجاد فاصل يراعي البون بين الخالق والمخلوق ، كما جاءت الأداة بأم الباب ( الكاف ) لتيسير التصور والاعتقاد ، أما طرفا المماثلة فقد جاء الأول من قبل المعقول ( نوره ) فليس كمثله شيء ، بينما جاء المشبه به محسوسا ( المشكاة ) لتقريب التصور لفهم المخاطب وهو القصد من وراء إلحاق الأعلى بالأدنى والله أعلم .

ب : المماثلة بركن واحد ( المشبه به )

أركان التشبيه تبدأ من طرفيه وهما ( المشبه والمشبه به ) فإن حذف أحدهما تحولت الحقيقة إلى مجاز والتشبيه إلى استعارة ، بينما يمكننا أن نستغني عن ذكر وجه الشبه ونقدره تحقيقا أو تخيلا ، وكذلك الأداة يمكننا أن نقدرها وهذا التشبيه جرت عليه العادة ، ولم يثبت أن أحدا من العلماء سمى التشبيه تشبيها يوم يستعي المنتج عن أحد طرفيه ؛ سواء أكان المحذوف مشبها أم مشبها به .

أما في القرآن الكريم فقد وردت نصوص سماها العلماء تشبيها وليس فيها من أركان التشبيه الأربعة إلا طرف واحد وهو المشبه :

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ رُزِنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) ﴾ الرعد: ٣٣

(1) التشبيه حقيقة والمشابهة مجاز

(2) روح البيان ، اسماعيل الخلوتي 6 / 152



وجوابه مضمر، يعني: كمن هو ليس بقائم على ذرة، وهذا كقوله: أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ<sup>(1)</sup>

﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ

عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8) ﴿ فاطر: ٨

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ تَوْقِيفَ [سؤال] وجوابه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له؟ ثم بنى على ذلك ما بعده<sup>(2)</sup>

قال تعالى: ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9) ﴿ الزمر: ٩

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ

اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (22) ﴿ الزمر: ٢٢

رغم أن هذه النصوص قدمت لنا صورة تشبيهية بمشبه فقط دون ذكر المشبه به ولا أداة التشبيه ولا وجه الشبه ، لم تسمى ( استعارة ) على خلاف قواعد علم البيان ؛ إذ وفقا للقواعد نسميها استعارة مكنية ؛ لأننا حذفنا المشبه به.

والمانع من جعل هذه الصور استعارة مكنية أمران

1- أن المحذوف ( المشبه به ) منوي التقدير ملاحظ وجوده لقوة الدليل عليه ؛ إذ لا بد من تقديره لأنه جواب الاستفهام مذكور أو مقدر . ويحمل على إيجاز الحذف .

2- حمل النصوص على الاستعارة المكنية غير ممكن؛ لعدم ابقاء شيء من لوازم المشبه به<sup>(3)</sup> .

وعليه فإن هذا النوع من التشبيه ولا يمكن أن تجده إلا في التصوير القرآني خاصة .

وقد اصطلح عليه تشبيه السلب<sup>(4)</sup> فهو قائم بالأصل على سلب التشبيه بين الطرفين مع أنه على هيئة التشبيه ، والمهم عندنا أنه تشبيه بطرف واحد ، فثمة تشبيهات في المفاد نفسه ، لكنها استوفت شروط التشبيه من مشبه ومشبه به وأداة إلا من الصفة المشتركة بين الطرفين ( وجه الشبه ) فإنها غير موجودة ولا يمكن تقديرها فقد سبقت على أساس المقابلة والقصد منها التضاد ، لا التقارب وهي نصوص كثيرة أذكر بعضها :

(1) ينظر : = بحر العلوم ، السمرقندي 2/ 228

(2) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، تفسير ابن جزي 2/ 172

(3) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم المطعني 2/ 275

(4) ينظر : خصائص التعبير القرآني ، 2/ 276



قال تعالى: ﴿ أَجْعَلْنُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) ﴾ **التوبة: ٩١**  
قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) ﴾ **ص: ٨٢**

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) ﴾ **السجدة: ٨١**  
قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) ﴾ **الجمعة: ١٢**

ج - عدم ذكر (المشبه) صراحة

ثمة صورة في القرآن الكريم تعرض الذكر صفحا عن المشبه وهو مما لا تجر به عادة التشبيه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) ﴾ **آل عمران:**

١١ ٠ ٠ ١

والتقدير دأب هؤلاء كدأب الذين من قبلهم من آل فرعون والمشبه محذوف من الآية الكريمة دل عليه سياق الكلام ووجود أداة التشبيه للإشعار بالمشبه المحذوف ولولا الإرسال لكان حمله على الاستعارة أقرب من التشبيه . وهناك مواضع أخرى استغنت بالسياق عن ذكر المشبه به منها :

قال تعالى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) ﴾

**الأ: فاله:**

والتقدير : هذا الحال كحال اخراجك .ومواضع أخرى لا يتسع البحث لذكرها ، ولكننا نستطيع القول أن هذا الضرب من التشبيه اختص به القرآن الكريم ، ولا وجود له خارج دائرة التصوير القرآني .

د- تقديم المشبه به على المشبه :

المعهود بالتشبيه أن المشبه رتبته التقديم على المشبه به وعلى الأداة ؛ بينما نجد في القرآن الكريم اسلوبا فريدا متمثلا في تقديم المشبه به على المشبه وهو على نحو مما هو آت : ( تدخل أداة التشبيه على اسم اشارة مشار به إلى مجموع تلك الجمل باعتبار المعاني التي أودتها فيكون اسم الاشارة مشبها به ملحوظا فيه معاني تلك



الجمال ، ويأتي بعد ذلك المشبه مؤخرا اسما أو فعلا (1) كقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33) ﴿ القلم: ٣٣

على الترتيب ( العذاب كذلك ) لأن العذاب مشبه واسم الاشارة مشبه به ورتبته أن يكون تاليا والسر في ذلك أن المشبه به مشار به إلى جمل سابقة ، ولم يكن مستقلا في المعنى ؛ لذلك جاء التقديم .

ثانيا : الحقيقة العقلية

تتشكل أبعاد الصورة التشبيهية بين المعقول والمحسوس لتخرج لنا أربع صور مختلفة وهي : حسيان أي : المشبه حسي والمشبه به حسي ، وعقلي بحسي ، وهاتان الصورتان شائعتان في القرآن الكريم كما سابين ، والثالثة عقليان ، والرابعة الأول حسي والآخر عقلي ، والتالين فيهما خلاف .

وجه الاعتراض نقله السكاكي وتبعه القزويني والزركشي والسيوطي عن الامام الجرجاني بدعوى ان العقل مستفاد من الحس ، فلو شبهنا المحسوس بالمعقول لشبهنا الأصل بالفرع وهو غير جائز (2) ، ( فلا يعني ذلك بحال ؛ بل قد يكون أدخل في الباب الابعاد والغموض ؛ لأن ادراك الأمور الحسية أقرب من ادراك القضايا العقلية أو لأن في وسع الجميع ادراك الأمور الأولى دون الثانية ) (3)

لقد تابعت أقوال العلماء ووجوه الاعتراض فوجت أنهم لم يزيدوا على ما ذكر الإمام ولو أنهم في اعتراضهم فريقان : منهم من لا يراه مطلقا : أي تشبيه (المحسوس بالمعقول) كما ذكرت ، ومنهم من يراه واقعا في شعر العرب وهو من أدق و أطف التشبيهات . يقول ابن رشيق القيرواني : ( وإما شرط التشبيه فهو الحق الذي لا يدفع ، إلا انه قد جار على الشاعر فيما أخذ عليه ، إذا كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دليله بأكثر مما هو في الحقيقة ، كأنه أراد المبالغة ، ... معرفة النفس والعقول أعظم من ادراك الحاسة وسيما وقد جاء مثل هذا اللون في القرآن الكريم ، والشعر العربي الفصيح ) (4) ، أما ابن الاثير فهو من أشد المدافعين عن هذا النوع ؛ فيعده ( أطف الأقسام الأربعة ؛ لأنه نقل صورة إلى غير صورة ) (5) ، ثم يسوغ العلوي استحسانه لهذا النوع (فوجه البلاغة فيه هو إلحاق المعاني بالأمور المحسوسة المدركة في الظهور والجلاء ) (6) . وعلى أية حال لا بد لنا من عرض أبعاد الصورة الحسية العقلية مع تمثلاتها ، ثم الوقوف على الخلاف بالتحليل والتوجيه والترجيح بإذن الله .

(1) خصائص التعبير القرآني 2 / 229

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن ، الزركشي 3 / 420 والاتقان للسيوطي 3 ، 583 أنوار الربيع ، ابن معصوم 1 /

399 و فن البلاغة ، عبد القادر حسين 56

(3) علوم القرآن ، عدنان محمد زررور

(4) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني 1 / 490

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير 2 ، 182

(6) الطراز ، يحيى العلوي 1 / 306



أ - حسيان : وهو التشبيه الذي تتكون صورته بين المحسوسات أي : يمكن أن نصل إلى طرفيه ( المشبه والمشبه به ) بالحواس ، ولا يحتاج إلى اعمال عقل أو اشغال فكر ، وأمثله كثيرة جدا في القرآن الكريم أذكر منها :

قال تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) ﴾ س: ٩٣

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (47) ﴾ الحج: ٧٤

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) ﴾ النحل: ٨٨

فمنازل القمر مدركة بالحواس محسوسة بالبصر وهي المشبه والعرجون القديم مما يدركه البصر واللمس معا وهو مشبه به، فهما حسيان من دون تأمل ونظر . وكذلك الجبال وتشبيهاها بمور السحاب وهما حسيان باتفاق . وقد توهم بعضهم حين جعل تشبيه الحور العين باللؤلؤ المكنون من قبيل الحاق المحسوس بالمحسوس ، والصواب أن الغيبات معقولة والحور العين لا يمكن أن نصل إليها بحواسنا والخطاب بأسره باعتبار ما سيكون في الجنة .

ب - المشبه معقول والمشبه به محسوس : كذلك هذا النوع واقع بكثرة ؛ فهو ينقل التصورات إلى التصديقات ويدنو ما يدرك بالعقل إلى ما تدركه الحواس والقصد من ذلك تقريب الصورة إلى المتلقي وتذليل العقبات لفهمها . ولا بأس بذكر أمثلة قرآنية من هذا القبيل :

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) ﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) ﴾ النور: ٩٣ ، ٤٠

المشبه هو ( اعمال الكافرين ) وهي عقلية ونستطيع أن نضع قاعدة تقرب لنا التصورات العقلية من خلال الثنائيات الضدية وهي ( الايمان والكفر ، الحياة والموت ، العلم والجهل ، الحب والكره ) هذه الثنائيات تحوم حولها المعقولات ؛ إذ لا يوجد مقياسا تقاس به هذه الأشياء إنما نجد آثارها . وعليه فإن كفر الكافر معقول أما المشبه به ( السراب ) فيمكن أن ندركه بالحواس إذ نراه من بعيد والظلمات كذلك فقد تعدد المشبه به ،بينما المشبه



واحد وهذا ما يطلق عليه تشبيه الجمع . ومثله تشبيه الشرك بالله والاحتماء بغيره بالذي يحتمي ببيت العنكبوت ؛ فالمشبه الشرك بالله وهو عقلي والمشبه به بيت العنكبوت وهو حسي

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) ﴾ **العنكبوت: ١٤**

ج- عقليان : قدمت أن هذا النوع من التصوير التشبيهي لا يقع في القرآن الكريم بزعم بعضهم وقد رد السيوطي في غير مصنف من نتاجه على من وجه تشبيه القلوب بالحجارة أو أشد قسوة من قبيل المعقول بالمعقول في قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74) ﴾ **ال بقره: ٤٧**

يقول السيوطي ( وكذا مثل به الزركشي - في البرهان وكأنه ظن أن التشبيه واقع في القسوة ، وهو غير ظاهر ، بل هو واقع بين القلوب والحجار فهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس )<sup>(1)</sup>، كما يذهب الدكتور عبد القادر حسين مع السيوطي في قناعته. وليس كذلك ؛ إنما أنزل بين الزركشي والسيوطي بالتحليل الآتي :

المشبه ( القلوب ) والقصد ما في هذه القلوب من القساوة ؛ فهي معقولة كما ذهب الزركشي .

المشبه به متعدد أما الأول فهو ( الحجارة ) وهي محسوسة بلا شك وهو رأي السيوطي وأما الثاني ( أشد قسوة ) وهو معقول ؛ إذ لا نعرف أي شيء أشد قسوة من الحجارة . ومن هذا التحليل فإن تشبيه القلوب بالحجارة هو ( معقول بمحسوس ) وتشبيه القلوب بالأشد قسوة هو ( معقول بمعقول ) ليتبين لنا أن أبعاد الصورة التشبيهية تشكلت بين المعقول والمحسوس .

وثمة نص قرآني آخر أستطيع أن أضعه في موضع الصورة العقلية البحتة وهو قوله تعالى : ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه

**رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) ﴾ الصافات: ٥٦**

فالمشبه ثمر الزقوم والعياذ بالله تعالى معقول ؛ إذ لا تعين عليه الحواس

والمشبه به رؤوس الشياطين كذلك معقولة ، وعليه فإن تشبيه المعقول بالمعقول موجود في القرآن والله أعلم ، كما وافق درويش ابن عاشور الذي يرى أن هذا التشبيه ( عقلي ) بقوله ( يجوز أن يكون مراد بها رؤوس شياطين الجن وهذه الشياطين غير معروفة لهم وهذا من تشبيه المعقول بالمعقول كتشبيه الايمان بالحياة )<sup>(1)</sup>



د - إلحاق المحسوس بالمعقول .

هذا النوع أنكر وجوده العلماء في القرآن الكريم كما قدمت ، ولقد ذكرت حجج المانعين في بداية المبحث ، بينما اسوق جملة نصوص أدعي أنها من قبيل المعقول بالمحسوس ؛ لأذر القارئ المتذوق للبلاغة يحكم بنفسه :

قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ (31) ﴾ آل قصص: ١٣

المشبه ( العصا ) محسوس

المشبه به ( الجان ) عقلي

قال تعالى: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ (163) ﴾ آل عمران: ٣٦١

المشبه ( هم ) الناس من أهل الخير أو الشر . محسوس

المشبه به ( درجات ) تفاوت المنازل عند الله تعالى من قبيل المعقول

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ

كريم (31) ﴿ يوسف: ١٣

المشبه ( يوسف عليه السلام ) محسوس

المشبه به ( ملك كريم ) من الغيبات التي لا نصل إليها بالحواس فهي معقولة .

## الخاتمة

بين القديم والحديث من تصورات العلماء واعتراك الأفكار والتوجهات في فلسفة البلاغة ، ومساحة الاجتهاد في البلاغة المعيارية وامكانية تطبيقها على نصوص البيان الأعلى أخلص إلى ما هو آت :

1- ان قواعد علم البيان التي مازالت حمى ممنوع على المجتهدين تجاوزها القرآن الكريم في نظمه المعجز من خلال:

تشبيه بلا مشبه به ، أو تشبيه بلا مشبه ، أو تشبيه بلا صفة مشتركة ، وهذه الأنواع من خصائص الاسلوب القرآني ولا وجود لها خارج القرآن الكريم

2- ما أورده العلماء من تشكيل بين المحسوس والمعقول يستدعي الوقوف مرة أخرى ، والنظر في تحقيقاتهم وتقاريراتهم ، ولا يفت في عضدهم ولا يقلل من شأنهم ؛ انما يفتح الباب ولكل مجتهد نصيب .



## المصادر

### القرآن الكريم

- 1- الاتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ط1 1974 م .
- 2- ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود العمادي ، دار احياء التراث العربي - بيروت .
- 3- اعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين درويش ، اليمامة - دار ابن كثير - دمشق - بيروت ، ط9 2003م .
- 4- أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم المدني .
- 5- الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار احياء العلوم - بيروت ط1 1988 م .
- 6- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي ، تح : صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت ، ط1 1420 هـ .
- 7- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط1 1 1957 م .
- 8- التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزى الغرناطي ، تح : عبد الله الخالدي ، دار الأرقم - بيروت ط1 1416 هـ .
- 9- تفسير القرآن الكريم ، محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، تح : مكتب البحوث والدراسات الإسلامية ، مكتبة الهلال - بيروت ط1 1410 هـ .
- 10- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم المطعني ، مكتبة وهبة - القاهرة ط1 1992 م .
- 11- روح البيان ، اسماعيل الحنفي الخلوتي ، دار الفكر - بيروت .
- 12- الطراز لأسرار البلاغة وعلام حقائق الاعجاز ، المؤيد بالله العلوي ، المكتبة العصرية - بيروت ط1 1423 هـ .
- 13- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ط5 1981 م .
- 14- القرآن والصورة البيانية ، عبد القادر حسين ، دار غريب - القاهرة ط1 2010 م .
- 15- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، جار الله الزمخشري ، دار الكتب العلمية - بيروت ط3 1407 م .
- 16- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت .
- 17- معترك الأقران في اعجاز القرآن ، عبد الرحمن أبو بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ط1 1988م .